

دافعوا عن الشعب الفلسطيني ! لتخرج إسرائيل من الأراضي المحتلة !

حمام الدم الصهيوني في غزة

من اجل اتحاد فدرالى اشتراكي للشرق الأوسط !

أدناه ترجمة لمنشور أصدرته العصبة التروتسكية لفرنسا (Ligue trotskyste de France) بتاريخ ١ يناير ٢٠٠٩ تم توزيعه بصورة واسعة أثناء الاحتجاجات والتظاهرات فى باريس ضد المذبحة الصهيونية فى غزة.

«ليكن معلوما أن هذا يحدث في القرن الحادى والعشرين بينما كل العالم ينظر ولكنه يظل صامتا. أنتى أتساءل كم هو رخيص الدم الفلسطيني » قال احد سكان غزة (شبكة الجزيرة بالإنجليزية ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨). ما يقرب من ٣٧٠ فلسطينيا قد قتلوا وأكثر من ١٧٠٠ جرحوا منذ ان بدأت اسرائيل قصف قطاع غزة قبل ثلاثة أيام . لقد شهد اليوم الأول من الغارات الجوية أعلى حصيلة يومية للقتلى في غزة منذ ان احتلت اسرائيل القطاع والضفة الغربية في الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ أضاقه الى أن أكثر من مائة طن من القنابل قد القيت على واحد من أكثر الاماكن اكتظاظا بالسكان على وجه الأرض . وبينما تطوق القوات والدبابات الاسرائيلية غزة استعدادا لغزو محتمل ، أعلن وزير الدفاع إيهود باراك الذى ينتمى لحزب العمل ، ذلك الحزب البرجوازي بكل ما فى الكلمة من معنى ، قد أعلنها «حربا شاملة» . أننا ندعو للدفاع العسكري عن حركة حماس ضد اسرائيل دون ان نعطي هذه المجموعة الرجعية الأصولية أي دعم سياسي .

ان غزة التى يسكنها مليون ونصف فلسطيني هي أكثر قليلا من معسكر للأعتقال ، محاط بسياج مكهرب ، وحدوداً مغلقة مع مصر والبحر الأبيض المتوسط ، يرزح تحت إمرة الطبقة الصهيونية الحاكمة ذات النوايا للأبادة الجماعية . بعد حرمانها من الغذاء والوقود والادوية بواسطة الحصار الأمريكى الاسرائيلي منذ ان تولت حماس الحكم في عام ٢٠٠٧ ، فإن معظم قطاع غزة الآن أكثر قليلا من قطع معدنية ملتوية وحيوات مدمرة ، و مستشفيات مزودة بالكاد لتواجه سيلا متواصلا من الجرحى والمشوهين . وحتى صحيفة نيويورك تايمز المؤيدة للصهيونية وصفت الهجمات الجوية الأولى التى حدثت بينما تجمعت النساء فى الأسواق وغادر الأطفال مدارسهم بأنها «مثيرة للاشمئزاز» .

الهجمات الجوية الإسرائيلية استهدفت بوجه خاص المباني الحكومية وغيرها من المنشآت التى تحتلها حماس التى لطالما صنفتها الصهاينة والاميراليون بأنها «إرهابية» . وفي إطار التحضير لهذه الهجمات ، شنت اسرائيل حملة تضليلية معلنة أنها ستفتح المعابر الحدودية وستؤجل الغارات الجوية التى هددت بشنها . من ناحيتها فان حماس ، والتي كانت قد أجلت موظفيها من المباني الرسمية ، بعد ذلك ، ووفقا لمسؤول اسرائيلي ، «أعدت موظفيها عندما سمعوا ان كل شيء تم تعليقه» (من هآرتس على الإنترنت (٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨) . عشرات منهم لقوا حتفهم تحت القصف .

وفى غضون ذلك ، في الضفة الغربية ، أحكم اغلاق السكان الفلسطينيين بجدار الفصل العنصري حيث يتعرضون لأحتلال عسكري قاتل . بالقرب من رام الله أردت القوات الاسرائيلية شابا فلسطينيا قتيلا رميا بالرصاص أثناء مشاركته في المظاهرات الاحتجاجية ضد الغارات الجوية على قطاع غزة .

لتخرج جميع القوات الاسرائيلية والمستوطنون من الأراضي المحتلة !

ان مذبحة اسرائيل الجماعية في غزة قد تم الأعداد لها بوحشية قبل شهور . فوفقا لما أورته صحيفة هآرتس على شبكة الإنترنت (٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨) فان باراك «قد أعطى تعليمات لقوات الدفاع الاسرائيلية للأعداد لهذه العملية قبل أكثر من ستة أشهر ، بالرغم من أن اسرائيل قد بدأت تفاوض حول اتفاق لوقف إطلاق النار مع حماس . . . لقد أعطى باراك أوامرا لتنفيذ حملة شاملة لجمع معلومات استخبارية استهدفت رسم خريطة للبنية التحتية لأمن حماس» . لقد وضعت اسرائيل حدا «للهدنة» الهشة مع حماس بشكل فعال ليلة الانتخابات الرئاسية الأمريكية بشن هجمات في غزة اسفرت عن مقتل ستة من مقاتلى حماس . ونتج عن ذلك هجمات الهاون والصواريخ ، غير الفعالة إلى حد كبير ، من غزة على المدن الاسرائيلية القريبة والتى استخدمتها اسرائيل كذريعة للهجوم الشامل .

عبر الشرق الأدنى اندلعت تظاهرات شارك فيها عشرات الآلاف ، لا تدين المجزرة الصهيونية فقط ، وإنما تدين أيضا الانظمة العربية المؤيدة للولايات المتحدة ، وليس أقلها النظام المصرى . ففي عشية الهجوم أطلعت وزيرة الخارجية الاسرائيلية تسيبي ليفني الرئيس المصري حسني مبارك على خطط إسرائيل . على الفور هرع مبارك بارسال عدة مئات اضافية من الحرس لخفر الجدار الحدودي الذى يفصل غزة من مصر . وحين اقتحم الفلسطينيون الفارين من القصف الإسرائيلي الحدود المصرية أطلق الحراس المصريون النار عليهم . وفقا لشبكة الجزيرة بالإنجليزية (٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨) ، «أعلن مبارك فى التلفزيون المصرى ان معبر

رفع لن يتم إعادة فتحه بالكامل قبل استعادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس السلطة في الإقليم» . ومن جانبه ، ورغم أنه أدان الاعتداءات الاسرائيلية فان عباس ، رئيس السلطة الفلسطينية ، ألقى ، وبشكل بشع ، مسؤولية الهجوم الإسرائيلي على حماس ودعاها الى «وقف اراقة الدماء» .

ان تلك الدعوة توازي خط ادارة جورج بوش ، والتي أعلنت ، وكما هو متوقعا ، انها «تلقى المسؤولية على حماس» . وفي غضون ذلك ، فان الرئيس الديمقراطي المنتخب باراك أوباما قد أوضح بجلاء دعمه للهجمات الاسرائيلية على حركة حماس خلال حملة الانتخابات الرئاسية ، قائلا : «اذا كان هناك شخص ما يصبوب صواريخنا نحو منزلى حيث تنام ابنتى الأثنين ليلا ، فسأفعل كل ما في وسعي لمنع ذلك . اننى أتوقع أن يفعل الإسرائيليون نفس الشيء» .

أما فيما يتعلق بالأمبرياليين الفرنسيين والأوروبيين فهم أيضا قد استنكروا «استفزازات» حماس (وفقا لصحيفة لوفيجارو بتاريخ ٣٠ ديسمبر) . فكرد فعل للاستعدادات العسكرية الاسرائيلية ، قرر الاتحاد الأوروبي تحت رئاسة نيكولا ساركوزي في منتصف ديسمبر تكثيف علاقاته السياسية مع اسرائيل . فاليوم يستقبل ساركوزي تسيبي ليفني وزيرة الشؤون الخارجية ومن المقرر ان يزور الشرق الأوسط يوم الاثنين للدفاع عن المصالح الامبريالية الفرنسية .

ساركوزي يمكنه أن يعول على دعم الديمقراطيين الاشتراكيين الفرنسيين . فمن الحزب الشيوعي الفرنسى (PCF) الى العصبة الشيوعية الثورية (LCR) كلهم قد وقعوا نداءا إلى تظاهرة ٣٠ ديسمبر يطالب ، وفقا لصحيفة «لومانيتيه» ، «بوقف المجزرة ورفع الحصار المفروض على غزة فورا وبشكل كامل وتعليق جميع الاتفاقات والعلاقات بين الاتحاد الأوروبي وإسرائيل وفرض عقوبات فورية ضد الدولة الاسرائيلية وحماية مواطنى غزة وكافة الشعب الفلسطيني» . لقد أوضح جاكى هينين ، عضو البرلمان الأوروبي عن الحزب الشيوعي الفرنسى هذه النقطة في رسالة موجهة الى ساركوزي نشرت في الصحيفة نفسها مطالبا «بوضع قوات تدخل أوروبية بين القوات المتحاربة» .

وهكذا يروج هؤلاء الاصلاحيون الكذوبة ان الاتحاد الاوروبي ، وبشكل خاص عندما يكون تحت رئاسة برجوازيتهم الفرنسية ويقرر بشكل مستقل عن الامبريالية الاميريكية ، يمكن أن يفعل شيئا لمساعدة الشعب الفلسطيني . لقد رأينا قبل سنتين كيف أن الامبريالية الفرنسية ، بدعم من الحزب الشيوعي الفرنسية ، ارسلت قوات الى جنوب لبنان ، في أعقاب فشل الجيش الإسرائيلي ، لردع حزب الله عن شن أي عمليات عسكرية جديدة ضد الدولة الصهيونية . ونتيجة لذلك منحت اسرائيل حرية مطلقة في غزة . أن الامبريالية الفرنسية العنصرية ، والتي قادت ، من بين أمور أخرى ، الحرب الجزائرية وقصف دمشق الجوى في عام ١٩٢٦ و عام ١٩٤٣ ، ملطخة بالدم العربي ودماء المضطهدين فى بقاع شتى من العالم . لتخرج القوات الفرنسية من لبنان والشرق الأوسط ومن أفغانستان ! فلتسقط الامبريالية الفرنسية ! فلتسقط تلك القلعة العنصرية التي هى الاتحاد الأوروبي !

وفى في فرنسا هيأت وزيرة البوليس أليو ماري المسرح باعلانها في وسائل الاعلام وبشكل بشع عن «اكتشاف» بعض اصابع ديناميت في أحد المتاجر الباريسية كعمل لما يسمى بجماعة اراهبية اسلامية والحشد الهائل لجيش من ٣٥٠٠٠ من رجال الشرطة عشية رأس السنة لمنع أي انفجار للغضب بواسطة شباب الأحياء الهامشية (banlieue) . اننا نقول : تسقط مطاردة ما يسمى بمكافحة الإرهاب ! تسقط فيجيبيراط (Vigipirate) ! ان حركة العمال يجب أن تدافع عن شباب الأحياء الهامشية !

ان كل من العرب الفلسطينيين والشعوب الناطقة باللغة العبرية فى إسرائيل / فلسطين يدعي لنفسه الحق فى نفس قطعة الأرض الصغيرة . ان ممارسة تقرير المصير الوطنى فى ظل الرأسمالية من جانب واحد سيكون بالضرورة على حساب الجانب الآخر . ان التحرر الوطنى للشعب الفلسطينى ، بما فى ذلك حق جميع اللاجئين وأبنائهم فى العودة الى وطنهم ، يستلزم بالضرورة ثورات عمالية تحطم الدولة الصهيونية من الداخل وتكتسح المملكة الأردنية الهاشمية ، والبعثيين السوريين البونابارتيين وحكام لبنان الرأسماليين ، أقطار تحوى فى داخلها أعداد كبيرة من السكان الفلسطينيين . اننا نتطلع إلى البروليتاريا فى المنطقة على نطاق أوسع ، كما هو الحال فى مصر ، التي كانت مركزا لأضرابات واحتجاجات الطبقة العاملة على مدى السنوات العديدة الماضية . من أجل اتحاد فدرالى اشتراكي للشرق الأوسط !

ان المجتمع الاسرائيلي ليس كتلة رجعية موحدة ولكنه مجتمع طبقي تستغل فيه الطبقة العاملة على أيدي «طبقتها» الحاكمة . ليست لدينا أوهايم أنه سيكون من السهل تحطيم شوفينية الطبقة العاملة العبرية . ان فصل البروليتاريا الإسرائيلية عن الصهيونية من المرجح أن يأتى نتيجة لأحداث عنيفة مثل هزيمة عسكرية أو جيشان ثوري فى المنطقة . ان التفجيرات الاجرامية الراهبية العشوائية التي تقوم بها قوى فلسطينية ضد المدنيين الإسرائيليين ، دافعة السكان العبريين أكثر فأكثر الى أحضان الحكام الصهاينة ، لا تجعل هذه المهمة أكثر سهولة . ان مفتاح الحل فى إسرائيل / فلسطين ، كما فى جميع أنحاء المنطقة ، هو انشاء أحزاب عمال ثورية تناضل من أجل الثورة الاشتراكية على الصعيد الدولى .